النفاق فيه والحاد كما قال تعالى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فأخبر ان المنافقين لوخرجوا في جيش المسلمين مازادوهم الا خبالا ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم إما لظن مخطئ أونوع من الهوى اولمجموعهما، فان المؤمن قد يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه

«ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات» ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم (اهدنا الصراط المستقيم ٥ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم، ولهذا نزه الله نبيه عن الامرين بقوله (والنجم اذا هوى ٥ ماضل صاحبكم وماغوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار) اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو فصل الخطاب في هذا الباب

ترجمة الطبيب محمد توفيق صدقي

نعي الينا صديقنا الصفي الوفي الطبيب النطاسي محمد توفيق صدقي ، ونحن في دمشق الشام بمبدين عن إدارة المنار واشتغال عنها بأعمال المؤتمر السوري الذي اختارنا لرياسته هنالك فكتبنا المنار نبذة وجيزة في تأبينه نشرت في الجزء الثامن منه ووعدنا بكتابة ترجمة مفصلة له . وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على ترجمة تاريخية له في العدد السادس من المجلة الطبية الذى صدر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ فرأينا ان ننقلها في المنار ثم نقفي عليها بما نعلم من ترجمة العلمية الاصلاحية وهذا نص ما نشر في المجلة الطبية

المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

«ننعي اليوم الى أهل الادب والطب سواء رجلا من أندر الرجال وعالما من العلماء الذين قضوا حياتهم في مزج الطب بالعلم الشرعي وتطبيق المبادئ الاسلامية

على أصول العلم الحديث الا وهو المغفور له الدكتور محمد توفيق صدقي الطبيب بمصلحة السجون بالقاهرة. ولد المرحوم في ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ فلما بلغ أشده [1] دخل المكتب فاستظهر القرآن الكريم وذلك هو السر في ميله الى الابحاث الدينية وتطبيقها على مباديء العلوم العصرية وفي انطلاق لسانه وجري قلمه، فمن حفظ القرآن، فقد وضع يده على أعنة البيان، ثم دخل المدرسة الابتدائية ونال اجازتها سنة ١٨٩٦ ثم دخل المدارس الثانوية ونال اجازتها عام ١٩٠٠ ثم دخل مدرسة الطب ونال اجازتها عام ١٩٠٤ وكان متقدما على اقرانه فاستحق أن تشكره وزارة المعارف على اجتهاده بمكتوب خاص مؤرخ في ٢ يوليو سنة ١٩٠٤ فلما أن أتم دروسه وتخلص من عناء الامتحانات انطلق كالجواد المصلي في ابحاثه، موليا وجهه شطر ما تشبعت به نفسه وامتلأ بحبه عقله وقلبه، وكان مجال الكتابة امامه فسيحا فكان يكتب تارة في المجلات العلمية كالمنار. وتارة في الجرائد السيارة كالمؤيد واللواء والشعب والعلم وغيرها من أمهات الصحف اليومية، يضرب في كل مبحث بسهم صائب حتى بلغ ما كتبه من المقالات والرسائل عددا كبيرا عدا المؤلفات الممتعة فمن مقالاته: ١ — تحريم الخنزير ونجاسة الكلب — ٢ مقالات الدين في نظر العقل الصحيح — ٣ الناسخ والمنسوخ — ٤ الاسلام هو القرآن وحده — ٥ تاريخ المصاحف — ٦ كلمة في الرق في الاسلام — ٧ رسالة الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية — ٨ ماء النيل ومضاره — ٩ الربا ورأيي فيه — ١٠ الطلاق في الاسلام — ١١ بحث في تعدد الزوجات — ١٢ الماديون والالهيون فلسفة صحيحة — ١٣ الاصلاح الاسلامي في جملة مقالات — ١٤ القرآن والعلم — ١٥ خوارق العادات في الاسلام — ١٦ حجاب المرأة في الاسلام — ١٧ نظرة في السموات والارض — ١٨ القرابين والضحايا في الاعياد — ١٩ سن الزواج بالفتيات. وكثير غيرها من المقالات الخاصة بالديانات. ومن كتبه كتاب ١ — دين الله في كتب انبيائه — ٢ الجزء الاول والثاني من دروس سنن الكائنات ألفه

(١) المنار: لعل كاتب الترجمة ظن ان الاشد بمعنى التمييز والصواب انه من سن ١٨ — ٣٠

لمدرسة دار الدعوة والارشاد . وبالجملة فقد كان فقيدنا كاتبا متفننا يمزج العلم بالدين في أكثر كتاباته .

«وأما ما عاب فيه من الوظائف فانه عقب ان نال اجازة الطب في عام ١٩٠٤ تعين طبيبا بمستشفى قصر العيني ثم انتقل منه الى وظيفة طبيب في سجن طره في سنة ١٩٠٥ ورقي طبيب درجة أولى في سنة ١٩١١ وأنعم عليه بالنيشان المجيدي الخامس سنة ١٩١٣ ثم نقل الى سجن مصر ثم الى اصلاحية الاحداث عام ١٩١٤ ثم مرض بالتيفوس وكان مرضه شديد الوطأة عليه لم يمهله الا أسبوعا حتى فارق الحياة الدنيا منتقلا الى جوار ربه في يوم الاربعاء ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٢٠ الموافق اليوم التالي من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٨ . فرحمه الله وغفر ذنوبه » اه

(المنار) اننا نستغفر الله تعالى كل يوم مرارا أي نسأله أن يغفر ذنوبنا ونعتقد أن كل بشر محتاج الى مغفرة الله تعالى وعفوه واننا على هذا الاستغفار والاعتقاد قد استغفرنا من المجلة الدعاء لهذا المترجم بالمغفرة بعد الرحمة دون غيره ممن ذكرت خبر وفاتهم في هذا العدد من الاطباء وهم أربعة ختمت الكلام في تراجمهم الوجيزة بالدعاء لهم بالرحمة الواسعة، والدعاء بالمغفرة للمترجمين غير معهود في الجرائد والصحف فكان هذا وما ذكر قبله من التخصيص سببين للاستغراب، والمتبادر لنا ان القلم جرى بهذا التخصيص بغير قصد فليس تعريضا بأن المترجم كان من المعروفين بارتكاب الذنوب بل هو معروف بالصلاح والتقوى وممتاز بين الاطباء وغيرهم من أهل العصر بذلك .

سيرة الفقيد العلمية والاصلاحية وشيء من سيرة تربه

الطبيب عبده ابراهيم

لا يعنى المنار بترجمة احد من الموتى الا اذا كان في ترجمته عبرة في الاصلاح الديني أو الاجتماعي فهو لا يحفل بترجمة ارباب المناصب والمظاهر الدينية ولا الدنيوية اذا خلت من هذه العبرة ، وقد يهتم بسيرة من ليس له مظهر كبير إذا كانت مشتملة على ما يفيد القراء منها . وصديقنا الطبيب محمد توفيق صدقي لم يكن من أصحاب المناصب الدنيوية ولا من الحاملين المفعولين بل كان رحمه الله تعالى من طبقة الوسط التي هي خير الطبقات، واهل الطبقة العليا في المناصب والمظاهر الدنيوية

يقل ان وجد في كل جيل من أولي الفضيلة والاصلاح ؛ وأقل هؤلاء من ارتقى الى المراتب العالية بسيرته الاصلاحية كشيخنا الاستاذ الامام

كان الفقيد يقرأ المنار منذ كان تلميذا في المدرسة الخديوية وقراءة المنار هي التي بعثت ما في فطرته من الاستعداد للبحث والنظر والاستدلال في العلم والدين كما كان يقول . وكان صديقه ورفيقه في المدرسة عبده ابراهيم على شاكلته في هذا الاستعداد ولكنه لم يوفق للكتابة كصنوه الروحي وقرينه صاحب الترجمة فلم يكن له آثار تكون له ترجمة اصلاحية خصة ولكنه كان مصلحا في آدابه واخلاقه ومناظراته وسيرته في أهله ووطنه. ومن البر بهذين الاخوين الروحيين ان نمزج سيرة أحدهما بسيرة الآخر:

كان أول ما كتبه محمد توفيق صدقي من المباحث الدينية العلمية مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) التي نشرت في المجلد الثامن من المنار (ص ٣٣٠ و ٤١٧ و ٦٩٣ و ١٣٢ و ٧٧١) وقد علقنا عليها بعد الانتهاء من نشرها هذه الجملة في (ص ٧٨٢ و٧٨٣ م ٨):

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث عن كل مايعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده افندي ابراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجعان الينا في بعض مباحثهما ويعرضان علينا أهم مايشتبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لايوجد في مصر من يطالب العلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الاقناع والبيان ، الا هذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى ان يتفقا على أن الحق فيها كذا. فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح — فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم ابراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه — وهذه المقالات هي صورة اعتقادهما الذي هداهما اليه

ربهما بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين. وأكثر ما فيها من المسائل في الالوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليدا بل اقتناعا بالنظر والاستدلال. ولا كتب مسائل كثيرة هداه الله اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط ان يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لان مقام مقام تأييد الاعتقاد، وهو لا يكون بأخبار الآحاد، ولا بتقليد الاباء والاجداد

وكاني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فالهين اللين منهم يعذره والجامد المتعصب يغلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين، وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام، وإن تقاليدهم لاقصر عن ذلك، ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والالحاد « ومن يضلل الله فما له من هاد » اه ما نشرناه يومئذ في المنار (سنة ١٣٢٣)

هذا ما نشر في المنار من مبدأ سيرة هذين الفرقدين منذ ١٥ حولا واني أزيده ايضاحا مما علمته منهما في ذلك العهد

كان كل منهما قد عرض له الشك في دينه فلم يكونا موقنين ولا مكذبين، والشك هو الذي حملها على البحث والنظر على قاعدة ابي حامد الغزالي: من لم يشك لم ينظر الخ ولكن ما كل من يشك ويحير يحث وينظر. وما كل من يحث وينظر يجد ويخلص ويثبت حتى يعلم ويوقن، وانما ذلك شان أصحاب الفطر السليمة، والانفس الكريمة، وما أكثر من كان حول هذين التلميذين في مدرسة الطب من التلاميذ الشاكين الراضين بشكهم وحيرتهم التاركين للنظر والاستدلال حتى انتهى بهم ذلك الى التعطيل والالحاد. ويحسبون أنهم في ذلك على علم، وانما هم في غمرة من الجهل

بدأ ذانك التلميذان الفاضلان بحثهما فيما عرض لهما من الشبهات على اصول الدين المطلق الالوهية وهي الألوهية والرسالة والبعث ثم جعلا من وقتهما مواعيد معينة للبحث في كل أصل من هذه الاصول فبدءا في مسألة وجود الخالق وتوحيده

وصفاته وكانا يراجعان في ذلك بعض كتب الكلام و بعض مباحثه في غير كتبه الخاصة كتفسير الرازي و يرجعان الى كاتب هذه الترجمة و (صاحب المنار) فيما يشكل عليهما فهمه او تستعصي شبهته فانتهى بهما البحث والنظر الى الايمان اليقيني بوجود الله تعالى ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن كل نقص . ثم شرعا في النظر والاستدلال على بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فرسالة خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكون القرآن كلام الله تعالى وعلى البحث والجزاء فثبت عندهما كل ماذكر في زمن طويل

ومما اتذكره من شبهاتهما وشذوذهما في اثناء البحث في مسالة الروح والبعث أنهما كانا قبل أن اقنعتهما بوجود ارواح للبشر مستقلة في وجودها قد اقتنعا بعقيدة البعث الجسدي فكان هذا من أغرب ما عرض لهما من الشذوذ

و بعد ان صح ايمانهما نظرا واستدلالا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بقي لهما شبهات مشكلة في بعض آيات القرآن لمخالفة بعض المباحث العلمية والتاريخية لها فزالت بالتدريج . واذكر أن المرحوم عبده ابراهيم جاءني مرة وجلس الي في مكتبي ثم أخرج المصحف الشريف من جيبه وقال لي انني مستشكل في آيات معدودات وضعت عليها علامات ولكن استشكالي فيها علمي غير مشكك لي في كون القرآن كلام الله تعالى فاحببت عرضها عليك رجاء إزالة الاشكال. ثم طفق يتلوها علي وكلما تلا آية عرفت وجه استشكالها اياها ففسرتها له بما يزيل اشكاله ويقنعه، حتى اذا ما اتمها قال بصوت مؤثر منبعث من اعماق قلبه

﴿اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد ارسول الله﴾

واخبرني انه غير عازم على اثبات اسلامه في المحكمة الشرعية، لانه مؤمن مسلم لله لا لاجل شيء من المعاملات الدنيوية ، ثم كان يخبرني بامتعاض والديه وذوي القربى من اسلامه ومناشدتهم اياه ان يظل كما كان عليه عن الناس، و بقي ذلك عدة سنين وكان بعد ان صار طبيبا موظفا يفيض على والدته وأهل بيته من راتبه و يواسيهم و يحسن من معاملتهم فوق ما يحسنون من معاملته، وانه كان يقول لوالديه ان الله تعالى امرني في القرآن بان أصاحبكما بالمعروف ولا اطيعكما في امر الدين بقوله (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) ثم انه بعد ذلك أظهر اسلامه وتزوج فتاة مسلمة ورزق منها اولادا كان يحسن تربيتهما وتعليمهما

وقد شرع بعد اطمئنانه بالاسلام في حفظ القرآن ومطالبة نفسه بالعمل به والتخلق باخلاقه وآدابه ، ولم أر من احد من اصدقائي ولا من تلاميذي ولا غيرهم مثله في ذلك. وقد جاءني مرة متألما شاكيا من نفسه فقال اني مؤمن ايمانا يقينيا ليس فيه زلزال ولا اضطراب ولكنني اقرأ صفات المؤمنين في القرآن فلا اراني متصفا بها كلها فكيف

بوجد الشيء وتتخلف عنه آثاره؟ انني لفي حيرة وغم من التفكر في هذا الامر وأرجو ان اجد عندك ما تزول به هذه الحيرة . فاجبته جوابا مفصلا ارضاه وكشف غمته، خلاصته ان ما يتبع الايمان من صفات الكمال لا يحصل كله دفعة عقب الاسلام وانما ينطبع الكثير منها في النفس بالعمل الذي شرعه الاسلام من العبادات والآداب والمعاملات (قلت له) فطالب نفسك بذلك تترب عليه تربية اسلامية جديدة يساعدك عليها ما وهبك الله من سلامة الفطرة وحسن النية

هذا وان هذين الرجلين كانا يعملان بما يعلمان من احكام الاسلام وفضائله، وقد شرعا بعد الفراغ من مباحث العقائد يبحثان في الاحكام العملية بما جريا عليه من الاستقلال في الاستدلال، ويرجعان الي فيما يعرض لهما من اشكال، واذكر من ذلك انهما فهما من آية الوضوء في سورة المائدة أنه واجب لكل صلاة فكانا يتوضآن لكل صلاة على ما في ذلك من المشقة الى ان اقنعتهما بان ذلك غير واجب وان المتوضيء يصلي بوضوئه ما لم ينتقض بالحدث . وكنت احيانا احيلهما في بعض المسائل على مراجعة بعض الكتب فاقتنيا كثيرا من الكتب الدينية وكان المترجم اكثرها اقتناء للكتب ومطالعة لها ومراجعة فيها، حتى انه اشترى مسند الامام احمد وناهيك بصعوبة المراجعة فيه على غير المحدث

﴿ مقالات صاحب الترجمة وكتبه والرد عليه ﴾

مسألة ابوة آدم للبشر

أول ما كتبه صاحب الترجمة في أصول الدين باستقلاله الذي مرن عليه مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) كما قلنا آنفا وكنت اصحح له العبارة وأراجعه فيما أخطأ به من المسائل فيصحح ما اقتنع به دون غيره، وقد انكر غير واحد عليه في هذه المقالات ما ذهب اليه من القول بان آدم ليس ابا لجميع البشر وقد قال ذلك في رد شبهة مذهب (داروين) في أصول الانواع ، وكونه غير مناف لاصل قطعي في الاسلام

وهذه المسألة كان الاستاذ الامام قد قررها في تفسير أول سورة النساء في الجامع الازهر ولكن لم تكن نشرت في المنار عند ما كتب صاحب الترجمة ما كتبه فيها ولا أذكر الآن أنه سمعها منه ولكن يغلب على ظني انني ذكرتها له بعد ان كتب ما كتبه ولا أذكر تفصيلا في ذلك وانما أعلم انني كنت أبحث معه في بعض المسائل غير المنقحة وتقدم ذكر ذلك

لما راجعنا قراء المنار في خطئه في هذه المسألة قولا وكتابة أجبنا هم في باب الانتقاد على المنار (ص ٩٢٠ م ٨) من وجهين أحدهما انه ليس من شأن أصحاب الصحف ان يقرنوا

رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم وثانيهما ان الكاتب ذكر ماذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتا قطعيا وهو غير ثابت عنده الآن بل هو يقول انه نظريات علمية وانه اذا ثبت لا ينقض شيئا من نصوص القرآن بل يمكن ان يؤخذ من القرآن ما يوافقه »

ثم كتبنا نبذة أخرى في باب الانتقاد على المنار (ص ٩٤٧ م ٨) أجبنا فيها عما كتبه بعض المنتقدين في الرد على صاحب الترجمة بقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) وببعض الاحاديث ، وقلنا في آخر هذا الجواب ما نصه : « ولا تنس اننا نؤمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لالزام المعترض على الدين ، أو اقناع المرتابين »

ثم ان صاحب الترجمة كتب في المجلد الرابع عشر من المنار مقالا عنوانه (كيف خلق الانسان) بعد مقالات نشرها في بعض الصحف اليومية رد فيها على مذهب دارون رداً شديداً قال فيه انه أورد عليه في بعض تلك المقالات « احتمالات تقوض أهم أركانه ، وتدك أكبر أسس برهانه » حتى ان كبيرا من أعظم أنصاره في الشرق لم يقدر على الرد علينا — يعني الدكتور شبلي شميل — (قال) وقد سألني بعض الاخوان قائلا اذا كنت تشك في صحة مذهب دارون فكيف تفسر لنا علميا خلق الانسان من طين » ثم سرد تلك الاحتمالات واتبعها بجواب هذا السؤال (يراجع مقاله في ص ٣٠٣ م ١٤)

« استطراد وجيز » صرحنا غير مرة في المنار بأن مذهبنا في العقائد وأصول الدين وكذا فروعه هو مذهب جمهور السلف الصالح وان ماننذكره أو ننشره لنا أو لغيرنا من تفسير أو تأويل مخالف لمذهب السلف فغرضنا منه إما دفع شبهة عن الدين ، وإما تقريب مسألة من مسائله لعقول بعض المرتابين ، لان من يخالف مذهب السلف في بعض المسائل غير القطعية المعلومة من الدين بالضرورة عن اجتهاد وتأول لا يعد مرتدا ولا متبعا غير سبيل المؤمنين من بعد ما تبين له الحق ، وقد نشرنا في معنى الكلام الالهي وكون القرآن بعبارته منه التي يراها القارئ قبل هذه الترجمة كلاما نفيسا في عذر من أخطأ من العلماء المتأولين بحسن النية وقصد خدمة الدين لشيخ الاسلام ابن تيمية (جزاه الله عن هذه الامة خيرا) لم نر لاحد من العلماء الاعلام مثله

في تحقيقه وحسنه ، ونحن نعتقد أن الاستاذ الامام والطبيب محمد توفيق صدقي من طبقة أولئك العلماء الذين كانوا ينصرون الاسلام، ويدافعون عنه بمنتهى الاخلاص، ويحرصون على اثبات دعوته ، واقناع المنكرين عليه بحقيته، ويردون الشبه عنه تارة بالدليل ، وأخرى بالتأويل المعقول ، وانهم ممن يشملهم الحديث الصحيح الذي يثبت لمن اجتهد فأخطأ أجر الاجتهاد ، ولمن اجتهد فأصاب أجر الاجتهاد وأجر اصابة الحق، لانه غير خاص بالمجتهد المطلق الذي له مذهب خاص في جميع مسائل الخلاف ونقول فيهما ما أرشدنا شيخ الاسلام الى أن نقوله في مثل الشيخ الاشعري والقاضي الباقلاني وغيرهم من العلماء المخلصين وهما منهم على ما بينهما من التفاوت في العلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) ونسأل الله تعالى ان يجعلنا من المجتهدين المثابين ، ويحشرنا في زمرتهم يوم الدين

ويذكر القراء أيضا ان بعض الازهريين قد نسبوا الينا منذ سنتين مسألة انكار كون آدم أبا لجميع البشر وكفرونا بذلك في مقالات نشروها في الجرائد ولم يشركوا معنا في هذا الانكار والتكفير الاستاذ الامام ولا الطبيب محمد توفيق صدقي رحمهما الله تعالى فدل ذلك على انهم قالوا على ما قالوه اتباعا للهوى غفر الله لنا ولهم

مسألة الاسلام هو القرءان وحده

أكبر شذوذ وقع للمترجم رحمه الله تعالى وحاول اثباته والدفاع عنه هو ما عرض له من الشبهة على كون السنة ليست من أصول الدين والاقتناع مدة من الزمن بأن الاسلام هو القرآن وحده فمن عمل به كان مسلما ولا يحتاج الى معرفة السنة لأنها كانت شريعة موقتة. وللعرض له ذلك واقتنع به هو وصديقه الطبيب عبده ابراهيم (عفا الله عنهما) جاءاني كعادتهما وعرضاه علي وانبرى صاحب الترجمة لبيان ما قام عنده من الادلة عليه فاوردت عليه اعتراضات كان يشتغل بالبحث فيها زمنا . واني كنت أعلم أن هذا الرأي كان عرض لغيره من الباحثين المستقلين القليلي البضاعة في علم أصول الاسلام وانه رأي منتشر في كثير من الامصار التي يسكنها المسلمون، وأعلم ايضا ان كثيرا من المباحث الكبيرة التي تختلف فيها الانظار لا تتمحص الا بالكتابة والمناظرة فلهذين السببين

ولتوفير الوقت علي في تمحيص المسألة اصاحب الترجمة وصديقه بالمشافهة اقترحت عليه أن يكتب رأيه هذا لينشر في المنار ، ويعرض على علماء مصر وسائر الاقطار ، وبينت له مافي الكتابة من خروج المسائل العلمية من حيز الاجمال الى حيز التفصيل ، فكتب مقال (الاسلام هو القرآن وحده) ونشرناه في المجلد التاسع من المنار (ص ٥١٥ — ٥٢٤) وعلقنا عليه تعليقا وجيزا اشرنا فيه الى سبق بعض الباحثين له فيه والى ما سبق من مذاكراتي فيه معه ومع نزيه وقرينه الطبيب عبده ابراهيم ، والى المراد بكتابته من عرضه على العلماء والباحثين ، ثم قلنا « فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم الى بيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ، ودفع ماعرض دونه من الشبهات ، فان المحافظة على الدين في هذه العصر لاتكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية ، اوشذوذ الفرق الاسلامية التي انقرضت مذاهبها ، وانما تكون باقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة ، واهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين ككاتب هذه المقالة فاني اعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ماعليه جماعة المسلمين ، مؤديا للفريضة . وانما كان إقناع مثله اهون على علماء الدين لانه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره الى اقناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي » اه المراد من التعليق ، وقد كتب هو ايضا في اواخر المقالة « فهذه افكاري في هذه المواضيع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وارجو ممن يعتقد انني في ضلال ان يرشدني الى الحق والا كان عند الله آثما »

ردالشيخ طه البشري على الدكتور

أول من تصدى للرد على هذه المقالة الشيخ طه البشري من علماء الازهر وهو نجل المرحوم الشيخ سليم البشري الذي كان شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد العلمية الدينية بمصر في ذلك العهد . فكتب في ذلك مقالا عنوانه (اصول الاسلام: الكتاب ، السنة ، الاجماع ، القياس) نشر في المجلد التاسع نفسه (من ص ٦٩٩ — ٧١١) ومقالا عنوانه (الدين والعقل) نشر في (ص ٧٧١ — ٧٨١ م ٩)

ورد صاحب الترجمة على هذا الرد في رسالة عنوانها (الاسلام هو القرآن وحده — رد الرد) نشرت في ذلك المجلد نفسه (من ٩٠٦ - ٩٢٥) وعلقنا عليها تعليقا عنوانه

في رؤس الصحائف (الاسلام هو القرآن والسنة) (من ص ٩٢٥ — ٩٣٠) فكان هذا التعليق مبينا له الخطأ الاكبر الذي وقع فيه وحاملا له على الرجوع عنه فكتب قولة مختصرة عنوانها (اصول الاسلام — كلمة انصاف واعتراف) نشرت في (ص ١٤٠) من المجلد العاشر صرح فيها بانه ارتكب الشطط وان الصواب ظهر له مما كتبه استاذه صاحب المنار ثم قال « فانا اعترف بخطأي هذا على رؤوس الاشهاد واستغفر الله مما قلته أو كتبته في ذلك وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . واصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكر والتدبر هو : أن الاسلام هو القرآن وما اجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملا واعتقادا انه دين واجب، و بعبارة اخرى ان اصلي الاسلام اللذين عليهما بني هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف اي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين » وأستثنى من ذلك السنن القولية غير المجمع عليها وما كان له علاقة شديدة بالاحوال الدنيوية (أي التي فوضها النبي (ص) الى الناس) وعد منها بعض الحدود ومقادير زكاة المال والفطر والاصناف التي تؤخذ منها ولكن بعض ما استثناه مجمع عليه وهو انما ينكر كونه من أصول الدين القطعية لا كونه منه مطلقا

ثم جاء رد مطول مفصل على مقالة (الاسلام هو القرآن وحده) بقلم الشيخ صالح اليافعي من علماء العرب المقيمين في (حيدر آباد الدكن) في الهند موضوعه (السنن والاحاديث النبوية) نشر في المجلد الحادي عشر من المنار (ص ١٤١ و ٢١٤ و ٣٧١ و ٤٥٤ و ٥٢١) فرد المترجم على مباحث منه في ٣ مقالات عنوانها (كلمات في التواتر والنسخ وأخبار الآحاد والسنة) نشرت في هذا المجلد (راجع م ١١ ص ٥٩٤ و ٦٨٨ و ٧٧١)

ثم رد الاستاذ اليافعي على هذا الرد في مقالات نشرت في المجلد الثاني عشر (م ١٢ : ص ١٢٥ و ٢٠١ و ٢٨٩ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٥٢١) وقال في خاتمة هذا الرد عبارة تدل على اهتمام العلماء في الهند بهذه المناظرة وطلب منا الحكم فيها فقال:

« هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا أرجو حضرة شيخ الاسلام ان يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من

قراء المنار ، ومن ينظره بعين الاعتبار ، وألتمس من حضرته ان يصلح ما فيه الخطأ ولزال لاني كتبته بعجلة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب ، ولكن ارضاء لله ورسوله (ص) ثم للاخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك ارتجالا وألتمس من شيخ الاسلام ان يذكر ملخص رأيه . وكذلك ألتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وأيد بهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات »

وانا اجابة للدعوة كتبنا مقالا في ذلك عنوانه (النسخ وأخبار الآحاد) نشر في (ص ٦٩٣ — ٦٩٩) من ذلك المجلد (١٢) وبه انتهت هذه المناظرة الطويلة التي شغلت عدة أجزاء من أربعة مجلدات من المنار في أربع سنين ، ثم أوضحنا مسألة السنة وافادة بعض أخبار الآحاد اليقين الشرعي اللغوي وحررنا معنى اليقين والظن في المنار بما لم نطلع على مثله لاحد ولله الحمد

ونقول ان هذه المناظرة الطويلة كانت سببا لاشتغال كثير من قرائها بعلم السنة وأصول الدين ، وقد سرى ذلك منهم الى غيرهم فصار للسنة من الانصار في مصر وغيرها مالم يكن لها من قبل ، ولا يزال عددهم في نماء وازدياد ولله الحمد

رد صاحب الترجمة على المبشرين

أشرنا في أول هذه الترجمة الى ان دعاة النصرانية كانوا أحد الاسباب الباعثة المترجم الى البحث في الدين ، الذي انتهى به الى الانتقال من الشك الى اليقين ، ثم الى الدفاع عن الاسلام — كما انتهى هذا البحث بغيره الدكتور عبده ابراهيم الى الاسلام البرهاني الاذعاني ، والصلاح والاصلاح النفسي والاجتماعي - وقد كان أهم ما كتبه المترجم بقصد الدفاع عن الاسلام الرد على أولئك الدعاة الذي حفزته اليه مناظراته معهم واطلاعه على كتبهم ، وقد استعد لذلك بقراءة كثير من الكتب الانكليزية لطائفة العقليين من الافرنج والملاحدة الذين ردوا على النصرانية . ومقالات المقيد في الرد على المبشرين لا يغني عنها أكبر الكتب المصنفة في الرد عليهم ككتاب اظهار الحق ، وقد جرد بعضها من المنار وطبع في كتب مستقلة وأقواها وأوسعها ما نشر في المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من المنار كمقالة (القرايين

والضحايا في الاسلام) ومقالة (الدين كله من القرآن) ومقالات (بشائر عيسى ومحمد في العهدين) وتراجع في ص ٢٨١ و٣٥٢ و٤٢٧ و٤٩٤ و٥٨٦ و ٦٥١ و٧٤٥ م ١٥ ورسالة (نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته) وتراجع في ٩١٣ و ١٩٣ — ٢١٦م١٦ و(نظرة في كتب العهدين وعقائد النصرانية) في المجلد السادس عشر أيضا.

وقد هاجت بعض مقالات هذه الرسالة المبشرين فتوسلوا الى لورد كتشنر بأن يوعز الى الحكومة المصرية بالغاء المنار ومنع صدوره منعا أبديا وبمحاكمة منشئه والدكتور محمد توفيق صدقي وقد كلمني في ذلك النائب العمومي في ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا وعهد الي بأن أقابل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا وصاحب الترجمة فقابلناه وكلمنا في المسألة ونهى المترجم أن يعود الى كتابة مثل تلك المقالة المستنكرة في شدة طعنها، وكلمنا في وجوب تخفيف لهجة المنار في الرد كما يراه القارئ في آخر المجلد السادس عشر (ص ٩٥٨)

ولما أنشأنا مدرسة دار الدعوة والارشاد عهدنا الى صاحب الترجمة بالقاء دروس سنن الكائنات وحفظ الصحة فيها معتقدين انه لا يوجد في مصر طبيب ولا عالم عصري يقدر على أداء هذه الدروس بشرط برنامج المدرسة غيره فقام بالامر خير قيام ونقح هو ما كتبه بعض طلبة المدرسة من تلك الدروس ونشرت في المنار ثم طبع بعضها في جزئين

وجملة القول ان الطبيب محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى كان ركنا من أركان العلم والاصلاح في مصر ولم نجد صديقا لنا ولا تلميذا في مصر ولا غيرها خدم المنار وكان له مساعدة تذكر في تحرير مغيره . وقد كان محسنا شكورا يذكر دائما منة المنار وصاحبه عليه، ونحن نعترف بأن منته علينا أكبر فقد كان فوق اخلاصه في صداقته ومساعدته القلمية للمنار طبيب بيتنا وفضله كبير على أولادنا فرحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء عنا وعن نفسه ودينه وأمته